مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الرجولة في القرآن الكريم بين الأصل اللغوي وبلاغة الاستعمال

Manhood in the Holy Quran between Linguistic Roots and Rhetoric Use

An Analytical Rhetorical Study

الباحث: د. أيمن البيلي محمد

أستاذ مساعد – معهد الإدارة العامة – الرياض – المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني:

noor76198676@yahoo.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ملخص:

على الرغم من تدوين كثيرٍ من اللغات قبل العربية، كالعبرية واليونانية مثلاً، فإن لغة القرآن لا زالت حيةً ونابضةً بالحيوية حتى يومنا هذا، وقد عُني كثيرٌ من المتخصصين بالبحث والدراسة لبيان أسباب ذلك، لا سيما أن الحيوية التي تتمتع بها هذه اللغة الراقية لم تنعكس على التركيب العربي أو الجملة العربية فحسب، بل انعكست بوضوحٍ كذلك على اللفظة الواحدة داخل هذا التركيب، فلا تكاد تخلو لفظة في العربية من سمة الدلالات وتوليد المعاني وفق ترتيبها في الجملة والسياق الذي وردت به. وقد اهتمت دراسات متعددة على تنوع مناهجها وتباين تحليلاتها باللفظة وأثرها في تحديد المعنى في آيات الذكر الحكيم، وزخرت بعضُ هذه الدراسات بتحليلاتٍ جادة في توضيح هذا الأثر؛ سعياً منها لاستنباط ما يمكن استنباطه، دون الالتفات أو الاهتمام بالمقارنات والتباينات التي يمكن أن تعتري اللفظةَ نفسها، كالتراكيب المتشابهة أو التعبيرات المماثلة، أو بيان الأسباب التي أسَّست لصيغةٍ معينة وردت بها اللفظة، كأن تأتي مفردةً أو مُثناةً أو مجموعةً، ونحو ذلك مما يحتاج البلاغي إلى الالتفات إليه والعناية به. ولعلنا بهذه الدراسة نستطيع أن نساهم ولو بالقليل في سدِّ هذه الفجوة بين ما يمكن تحديده من معاني اللفظة بين أقرانها في تشكيل الصورة العامة للتركيب، وبين تغير هذه المعاني ومراوحتها لأماكن عِدَّة وفق ما يقتضيه النصُّ القرآني، وهذا بالطبع لا يعني شرودَ اللفظة بعيداً عن أصلها اللغوي، بل هو تأكيدٌ لقدرة الكلمة في العربية على التجدد والتنوع بدلالاتٍ متعددةٍ ومقصودةٍ في ذاتها. ومن الألفاظ التي وردت صريحةً في القرآن لفظة (الرجولة)، وعلى الرغم من تنوع صيغتها في الآيات بين الإفراد والتثنية والجمع، فإن ما تُحدِثُه كلُّ صيغةٍ من أثرٍ في بناء معنى مختلف يُثير التأمل ويبعث على التريث والتدقيق عند التحليل. وقد استند الباحث على المنهج التحليلي في جلاء المعاني واستنباط الدلالات. فمن خلال السياق الذي ترد فيه اللفظة وما يكتنف التعبير القرآني من خصوصية في التفسير، يمكن لهذا المنهج أن يجوب مع اللفظة أينما وردت. ولعل ما يدفع بالتحليل إلى التعمق أكثر واستخراج كنوزٍ من المعاني، هو الجوُّ العام للآيات والعناية بأسباب النزول، ودورها في تحديد المعنى المقصود. وقد حاولت الدراسةُ التركيزَ على معنى الرجولة في معرِض التحليل البلاغي لورود اللفظة في إطار ما يمكن تسميته باتفاق المعنى واختلاف الصيغة، فاللفظة يمكنها الورود بالإفراد والتثنية والجمع بدلالةٍ واحدة، ولا

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يمكننا هنا الجزم بمعنى واحدٍ مشترك، وهو ما تفرضه علينا آيات الذكر الحكيم، حيث يأخذ العمق في التحليل ومعايشة جو الآيات بعدًا خاصًا لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

الكلمات المفتاحية: عموم الرجولة – خصوصية الرجولة – الرجولة بالإفراد – الرجولة بالجمع.

Arabic is a living, evolving language despite the fact that other languages, such as Hebrew and Greek, were written first. The vividness of this exquisite language is expressed not only in Arabic syntax, but also in each individual word, which has led to extensive study and research by a wide range of specialists and scholars. Almost every Arabic word has its own unique semantic qualities and takes on various meanings depending on where it appears and the context in which it is used. As a result, many researches have concentrated on the various methods and differences of word analysis and their impact on deducing the meaning of Quranic passages. In order to understand this effect and make conclusions, some of the research included in-depth analyses; however, these analyses generally ignored any similarities or differences that would affect the meaning of the word. One manifestation of this is the use of structurally or lexically similar terms in Arabic.

The reasoning behind whether a term is singular or plural was also investigated in those researches. This should take up the attention of rhetoricians. Therefore, we hope that this study will contribute, if only in a limited manner, to bridging the gap between the meanings of a word that can be distinguished from those of its counterparts in forming the general picture of syntax and the dynamic nature of these meanings and their varying places according to the Qur'anic textual requirements. Evidently, this does not mean the word abandons its linguistic roots; rather, it is proof that the Arabic word may take on a wide range of nuanced new meanings. The term "manhood" is one of the words that are explicitly mentioned in the Qur'an. The impact of each form in establishing a distinct meaning in the verses of the Quran is incredibly thought-provoking, despite the fact that it is utilized in a variety of ways.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

To clarify meanings and derive inferences, the researcher used the analytical approach. It is possible to apply this approach anywhere a word appears in the Qur'an because of the relevance of context and the exegetical specificity of Qur'anic expressions. The general tone of the verses in the Quran, the meticulous consideration given to the reasons for divine revelations, and their vital roles in determining the intended meaning, promote further inquiry and the solving of semantic issues. The research set out to provide a rhetorical analysis of how often the term "manhood" is used within the framework of "agreement of meaning and difference in form." It is not uncommon for the singular and plural forms of a word to mean the same thing. However, it is not possible to ensure that everyone will understand the same thing. The Quranic verses put forth this challenge. Therefore, it is essential to read the Quran meticulously and absorb the unique and vital atmosphere of its words.

Keywords: universal manhood - specificity of manhood- manhood in the singular form - manhood in the plural form.

مقدمة:

تحاول الدراسة في كثير من استعمالات لفظة الرجولة في القرآن تلمس بلاغة اللفظة ومقوماتها بين آي القرآن الكريم، نظرًا لأن اللفظة في ذاتها تستدعي التأمل والتأني في دلالات معانيها، مثلها في ذلك مثل عديد من الألفاظ القرآنية التي تدعو الباحثين للتوقف والتأمل. ولعلنا بهذا القدر من التحليل والتدليل نشارك ولو بقدر لا يذكر في بيان أهمية اللفظة عير سياقها في تحديد وتخصيص دلالات مقصودة بعينها. وقد شغلتني هذه اللفظة كثيرًا عند قراءتها بين الآيات، لا سيما وجودها منكرة بالجمع أو الإفراد أو التثنية، ووجودها منكرة بالمعنى الحقيقي لم يرد إلا في مواضع محدودة تكون

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

في أغلبها مخصوصة لحكم شرعي أو ما شابه، ولا نرجو بذلك سوى الاهتمام باللفظة القرآنية، وقراءة معانيها في مواطن متفرقة، وأهمية هذه المعاني المستنبطة في ترسيخ المعنى الإجمالي للعبارة القرآنية. بالإضافة إلى ذلك فإن السياق القرآني للفظة وإن كان يخدم اللفظة كبناء متكامل يتبع بعضه بعضًا، فإنه بلا شك يفتح دون قصدٍ آفاقًا بلاغيةً جديدة لم تكن لتدرك لولا هذه اللفظة التي ساقتنا إليها سوقًا.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- تسليط الضوء على الألفاظ القرآنية التي يتوهم قصورها في الدلالة على المعنى اللغوي، وتعميق البحث والتحليل حول كثير من تلك الألفاظ.
- التنبيه إلى أهمية اللفظة الواحدة بدلالة محددة على تغيير مسار المعنى الكلي للعبارة أو التركيب.
- تغيير المفهوم الشائع عن لفظة الرجولة وتعيينها في الذكورة أو ما يقابل الأنوثة، إلى المعنى الأصل لما يجب أن يكون عليه الرجل، وكأننا أمام لفظة محددة وضعت من أجل دلالة مقصودة.
- ضرورة التفرقة في الألفاظ العربية بيم ما يمكن أن نسميه مصطلحًا كمصطلح الرجولة، وبين بقية الألفاظ التي ليس لها التأثير ذاته في تغليب معنى معين.

مشكلة الدراسة:

يمكننا أن نحدد مشكلة هذه الدراسة في النقاط التالية:

- قلة الدراسات المتعمقة في بحث دلالات الألفاظ في القرآن والسنة من الناحية البلاغية.
- استعمال لفظة الرجولة في كثير من الدراسات كان لغرض الاستشهاد على معانٍ عامة للفظة، ولا علاقة لها بالمقارنات والمواءمات البلاغية.
- طغيان عالم القيم والأخلاقيات على كثير من الأبحاث يفقدها أهميتها البحثية، فمجال التخصص يحفز على الاستنباط المتجدد دون الوقوف على المسلَّمات الدلالية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لفظة الرجولة عند أهل اللغة:

جاء في لسان العرب: "الرَّجُل: معروف الذكرُ من نوع الإنسان خلاف المرأَة، وقيل: إنما يكون رَجلاً فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشَبَّ، وقيل: هو رَجُل ساعة تَلِدُه أُمُّه إلى ما بعد ذلك والجمع رِجال. وفي التنزيل العزيز: واسْتَشْهِدوا شَهِيدَين من رِجالكم[1].

وقال صاحب تاج العروس: "ويقال للمرأة رجُلَة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها. قلت: ويؤيده الحديث: أن عائشة رضي الله عنها كانت رجُلَة الرأي، أي كان رأيها رأي الرجال.....، وقال الراغب: قوله تعالى: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، وقوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون، فالأولى به الرجولية والجلادة"2. وشبيه بذلك ما ورد عن بعضهم: "الرَجُل: الذكَر من نوع الإنسان/ خلاف المرأة، فهو الساعي على الرزق، وهو الأشدّ، والقائم الجادّ في الأمور المنتصب لها وفيها. جاء في الفروق "قولنا رَجُل يفيد القوة على الأعمال. ولهذا يقال في مدح الإنسان إنه رَجُل. والمرء يفيد أَدَب النفس، ثم إن تسمية الرجل ليست بعيدة عن الذكورة، فالذكورة صلابة وهي من باب الانتصاب، وقالوا "أَرْجَلْتُ الحصان في الخيل: أرسلتُه فيها فَحْلًا"3.

وورد عن ابن سيدة قوله: " وقد يكون الرجل صفة يعنى بذلك الشدة والكمال وعلى ذلك أجاز سيبويه الجر في قوله (مررت برجل رجل أبوه) والأكثر الرفع، وقال في موضع آخر، إذا قلت هذا الرجل: فقد يجوز أن تعنى كماله وأن تريد كل رجل تكلم ومشى على رجلين فهو رجل لا تريد غير ذلك المعنى"[4].

وقد وردت لفظة رجل في القرآن للإشارة إلى وجوه منها: "أن تكون بمعنى أي شخص من البشر كما في قوله تعالى {مَّا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}، أو بقصد شخص بعينه كما في قوله تعالى {على رَجُلٍ مِّنَ القريتين عَظِيمٍ} بمعنى ابن مسعود الثَّقَفي، وقوله تعالى {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ} بمعنى حزبيل مذكِّر قوم فرعون، أو بمعنى النبيّ

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، "لسان العرب" ج11/ 265. بتصرف قليل.

[2] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، "تاج العروس من جواهر القاموس. 28، 29 / 36.

3 جبل، محمد حسن، "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها"، 2/ 767.

[4] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، "المخصص"، 1/ 60.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

صلىَّ اللهُ عليه وسلَّمَ كما في قوله تعالى {إلى رَجُلٍ مِّنْهُمْ} ، {هَلْ نَدُلُّكُمْ على رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ}، أو بمعنى رجلين من بنى إسرائيل مؤمن وكافر، يهودا وفُطروس كما في قوله تعالى {واضرب لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا}، أو بمعنى يُوشَعَ بن نُون وكالِب بن يُوفِنا من قرابة موسى الكلِيم كما في قوله تعالى {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الذين يَخَافُونَ}"[1].

الدراسات السابقة:

عند مراجعة لفظة الرجولة في القرآن الكريم، نجد اهتمام بعض الدراسات والأبحاث باستقصاء اللفظة وتحليلها، كدراسة العبد[2] (2010م) والتي ركزت على تحديد معالم الرجولة وفق ما ورد في كتاب الله، فتناولت الدراسة صفات الرجولة ومقوماتها وعوامل ضياعها، وانتقلت إلى رجولة الأنبياء والمرسلين، من خلال دراسة موضوعية تضع يدها وتشير إلى ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية. وأما دراسة فليح[3] (2012م) فقد جاءت شبيهة بالدراسة السابقة، من حيث التناول الموضوعي للرجولة في كتاب الله، ومن حيث التركيز على عالم الأخلاق والقيم التي تقتضيه اللفظة، لكنها حاولت التركيز على أسباب اندثار تلك الصفة من التقليد الأعمى للغرب وإفساد الأسر والمجتمعات. لكن دراسة الطيبي[4] اختلفت عن الدراستين السابقتين حيث اعتمدت على الإحصاء الشكلي للفظة الرجل في القرآن الكريم ما بين الإفراد والتثنية والجمع من جهة، والتنكير والتعريف والإضافة من جهة أخرى. وقد حاول الباحث التفريق بين الرجل والمرأة في أكثر من ناحية. من ذلك على سبيل المثال: الفرق بينهما في الخيرية والشر في تناول القرآن الكريم، والمقارنة بين الصنفين من حيث الأفعال المنوطة بكل منهما. وجاءت دراسة صالح[5] لتركز على الجانب الأدبي والخلقي للرجولة من خلال استعراض بعض الآيات القرآنية ومحاولة وضع معالم محددة لصفات الرجولة الحقيقية ولفت الانتباه إلى خطورة الصفات

---

[1] الفيروز بادى، مجد الدين محمد بن يعقوب، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، 3/ 42.

[2] زهد، عصام العب، "الرجولة في القرآن الكريم: دراسة موضوعية". ع 2، ص 179-213.

3 خلاوي، إيناس فليح، "الرجولة في آيات القرآن الكريم: دراسة موضوعية"، 2012م، ص ص 384-404.

4 الطيبي، خالد عزمي، "الرجولة في القرآن الكريم بين الإثبات والنفي"، 2

5 صالح، عبد الكريم، "معالم الرجولة في القرآن الكريم"، 63.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المزيفة التي تنسب إلى اللفظة والتي تخرج عن مقصودها الحقيقي. فبدأت الدراسة ببيان الفروق بين الرجولة والفتوة والمروءة والإنسانية، والانتقال من ذلك إلى تحديد المعاني المتعددة للفظة من الإيمان المطلق
والطهارة ظاهراً وباطناً والشجاعة في قول الحق والقيام بحق القوامة، وغير ذلك من تلمس المعاني السامية للرجولة. ويبدو من هذه الدراسات وما تناولته عدم تعرضها للعمق البلاغي لمفهوم الرجولة الذي تركز عليها آيات الذكر الحكيم، بل جاءت في أكثرها كتحديد لمفاهيم الرجولة وما تستدعيه في الجانب الإنساني والأخلاقي. وقد جاءت دراستنا هذه للتفرقة بين اللفظة كمحتوى دلالي، وبين الغرض من استعمالها في إطار بلاغي يراعي سياق الآية فيه.

بلاغة وصف الأنبياء بالرجولة:

تعددت الآيات التي وصفت أنبياء الله عليهم السلام بالرجولة، وكان يمكن التعبير بالرسالة بديلاً للرجولة؛ إذ الإقرار بجنس الرجولة للأنبياء كافةً متفقٌ عليه، في حين أن الإقرار بالرسالة ذاتها مختلفٌ فيه بين مؤيد ومعارض. لكننا عند التدقيق في سر استعمال اللفظة ووصف الأنبياء بها، نتلمس بلاغتها في المواضع التي جاءت، لا سيما أن ارتباط آيات القرآن الكريم وفق نَظم متسلسل كحبات اللؤلؤ يزين بعضها بعضاً، يحيلنا إلى النظرة الشاملة للسياق القرآني الذي جاءت فيه اللفظة. وقد تعددت آيات وصف الأنبياء بالرجولة في مواطن متفرقة من كتاب الله، منها قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف، 109] وقولة تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل، 43] وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء، 7]. والمتأمل في الخطاب القرآني من العلي الكريم لخاتم أنبيائه ورسله، يجد أن بعض الآيات المشابهة للآيات السابقة والتي تتحدث عن الأنبياء السابقين، قد أقرت بالرسالة بديلاً عن الرجولة، كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: 38)، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: 78) ، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ، وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 163، 164). وعند التدقيق نجد أن هذه الآيات جميعها سواء التي أشارت للرسالة بلفظة (رسل) أو التي حوت لفظة الرجولة بلفظ (رجال)، تتحدث عن الرسل الذين سبقوا خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، لكن جاءت آيات الرسالة بأسلوب خبري، في حين اعتمدت آيات الرجولة على أسلوب القصر بحرف النفي (ما) وأداة الاستثناء (إلا)؛ ذلك لأن مقصود الأسلوبين مختلف.

ولبيان ذلك، ينبغي التدقيق في التركيب الأسلوبي للآية، مع الأخذ في الاعتبار أسباب النزول، وحيثما فُهم مقصود الآية، حدِّد السر البلاغي وراء اختلاف الاستعمال لكلا الأسلوبين. فالتصريح بالرسل يرافقه الأسلوب الخبري، حيث يظهر من الأساليب الخبرية أنها تقرر معانيَ مهمة تخص كل آية على حدة. مثال ذلك ما ذكره القرطبي مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، حيث قال: "إن اليهود عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج، وعيَّرته بذلك وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همةً إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه والآية، وذكرهم أمر داود وسليمان فقال: (إِنَّ الْيَهُودَ عَابُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَزْوَاجَ، وَعَيَّرَتْهُ بِذَلِكَ وَقَالُوا: مَا نَرَى لِهَذَا الرَّجُلِ هِمَّةً إِلَّا النِّسَاءَ وَالنِّكَاحَ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا لَشَغَلَهُ أَمْرُ النُّبُوَّةِ عَنِ النِّسَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هذه والآية، وَذَكَّرَهُمْ أَمْرَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فَقَالَ: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً) أي جعلناهم بشرًا يقضون مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا التَّخْصِيصُ فِي الْوَحْيِ. الثَّانِيَةُ- هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ وَالْحَضِّ عَلَيْهِ، وَتَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ، وَهُوَ تَرْكُ النِّكَاحِ، وَهَذِهِ سُنَّةُ الْمُرْسَلِينَ كَمَا نَصَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ، وَالسُّنَّةُ وَارِدَةٌ بِمَعْنَاهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ)"[1]. ويظهر من ذلك أن التعبير بلفظة (رسل) دون لفظة (رجال) أبلغ وآكَد في تقرير المراد الإلهي، لأن انتقاد اليهود منصبٌ على كون الرسالة منافية للزواج، وليس الرجولة، لأن الإنسانية بجميع أطيافها مجمعة على أن الرجولة لا تنافي الزواج والإنجاب. وأما تقرير إرسال الرسل قبل رسولنا الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا

1 القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، "الجامع لأحكام القرآن"، 9/ 327.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ، وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، فإن المولى الكريم يخبر نبيه بما لا يعلمه من أمر من كان قبله من الرسل، تسليةً له وتعريفًا له بما خفي عنه من أعداد الرسل التي لا تحصى، ونفيًا لما يُمكن أن يُتوهم من تصريح القرآن بجميع الرسل. والآية الأولى والتي تضع موسى عليه السلام ضمن من صرح القرآن بقصصه، جعلت منه من بين رسل الله جميعًا كليم الله، فكان التصريح في الآية بلفظة الرسل أولى من التصريح بالرجولة. وأما الآية الثانية، فقد أوضحت أن الرسل عليهم السلام لا يأتون بالآيات إلا بإذن الله، وذلك بعد أن أوضحت أن كثيرًا منهم لم يتعرض له القرآن أو يقص قصته.

وعند التأمل في الآيتين نجد التركيب الذي اعتمدتا عليه هو الجملة الفعلية (أرسلنا رسلًا من قبلك) المؤكدة بتوكيدين (اللام، وقد الداخلة على الماضي)، والجملة الفعلية هنا تلعب دور الجملة الخبرية والتي وصفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: " وجملة الأمر، إن "الخبر" وجميع الكلام، معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا "الخبر"، فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتقع فيه الصناعات العجيبة، وفيه يكون، في الأمر الأعم، المزايا التي بها يقع التفاضل في الفصاحة"[1]. والغرض من وجود أكثر من توكيد للجملة هنا هو التقرير والتثبيت للمعنى المقصود، فجملة (ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك) لم تكن ردًا على شكٍ من قبل النبي الكريم كي يأتي الرد مؤكدًا بأكثر من مؤكد (اللام وقد)، كما هو المعتاد في التوكيد لمخاطبة المنكر، وإنما المقصد هنا هو تثبيت وتقرير معنى في قلب النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهو ما يجعل هنا مقتضى حال النبي الكريم لا يشوبه إنكار أو شك. يقول يحي بن حمزة العلوي معلقًا على أسلوب الأمر في قوله تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: 2)، وقوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: 30) وقوله تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ﴾ (هود: 112): "والمعلوم من حاله عليه

1 الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، 528.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

السلام أنه حاصل على هذه الأمور كلها من عبادة الله تعالى وإقامة وجهه للدين والاستقامة على الدعاء إليه لا يفتر عن ذلك ولا يتصور منه خلافها، لأن خلافها معصوم منه الأنبياء، فلا يمكن تصوره من جهتهم بحال، ولكن ورودها على هذه الأوامر إنما كان على جهة الحث له بهذه الأوامر وأمثالها"[1].

وهنا لا بد من الإشارة إلى بلاغة أسلوب الالتفات في الآيتين، حيث انتقل العلي العظيم من خطابه لنبيه وإعلامه بأعداد لا حصر لها من الرسل، جاء على ذكر بعضهم القرآن، إلى أسلوب الغائب ﴿ومَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، يقول القزويني "والالتفات من محاسن الكلام واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية1 لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه"[2].

وبالرغم من أن لفظة (رسل) جاءت جمعاً في الآيات السابقة، فإنها قد جاءت بالإفراد في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25). والإفراد هنا مهم في إطار السياق القرآني. فالآية تخاطب النبي الكريم بآية التوحيد والعنوان الرئيس لدعوة الأنبياء من قبله (لا إله إلا الله)، ولا يعني ذلك إنكار النبي ﷺ لهذا العنوان، وإنما هو خطاب لعامة المسلمين في صورة نبيهم ﷺ ورمز الإسلام عندهم، حتى لا يتصور أحد أن دعوة الرسل تختلف باختلاف الأزمنة أو الأماكن.

وفي المقابل، فإن التصريح بالرجولة في سورة يوسف والنحل والأنبياء، يرافقها أسلوب القصر، فتأمل قوله تعالى في يوسف ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾، وقولة تعالى في النحل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، وقوله تعالى في الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، تجد أن القصر قد اعتمد على (ما) و(إلا)، إذ القصر بهذا الأسلوب أقوى وأحصر للمقصور على المقصور عليه، وآيات الذكر الحكيم تعلمنا أن لكل معنى أسلوب ولكل أسلوب تركيب ولكل تركيب أدوات، وهو من دواعي تشديد العلي الحكيم على أمر التدبر في أكثر من موضع من كتابه، منها

1 العلوي، يحي بن حمزة، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، 93/3.
2 القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة"، 2/ 91.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قوله جلّ شأنه ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82)، وقوله سبحانه ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد، 24). فتدبر المعاني والدلالات القرآنية يستدعي التأمل في التركيب الخاص لكل آية، لأن المعاني تتباين وتتنوع وتتعدد حسب هذا التركيب.

ويمكننا قبل أن نخوض في بلاغة أسلوب القصر مع لفظة الرجولة، أن نخلص إلى بعض الدلالات لتلك الآيات، ومن أهمها:

– تخصيص وتعيين الجنس: فالنبوة لا تكون لجنس المرأة، وإنما تكون لجنس الرجال، وقد اتضح ذلك من أسلوب الحصر في كثير من الآيات، والتي استعملت ما وإلا كما في الآيات السابقة.

– لا يرسل الله لخلقه سوى أنبياء من البشر: وقد صرح القرآن الكريم بأن الرسالة تكون للملائكة وتكون أيضاً للبشر، قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج، 75)، لكن الرسل من الملائكة تكون لأنبياء الله فحسب، ولا تكون للأقوام من البشر، حدد الله مهمتهم في تبليغ الوحي إلى الأنبياء، قال الطبري "الله يختار من الملائكة رسلاً كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس أيضاً رسلاً وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي وبيدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة"[1]، وكذلك فإن زعم المخالفين بأن سبب عدم استجابتهم للرسالة هو نزولها على بشر، ولو نزلت على مَلَك ما اعترضوا، كان سبباً في التصريح بالرجولة والرد عليهم، قال الطنطاوي: " ثم بين– سبحانه– أن حكمته قد اقتضت أن يكون جميع الرسل من البشر وأن يعيشوا الحياة التي تقتضيها الطبيعة البشرية، وأن يؤيدهم الله تعالى بالمعجزات الدالة على صدقهم، فقال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ لتجمع اللفظة بين الرد على الوحي لملك وبين جدارة هذا النوع من الجنس البشري وتحمله للأعباء التي لا يطيقها غيره، أى: وما أرسلنا قبلك– أيها الرسول الكريم– إلى الأمم السابقة إلا رسلا من البشر، ليعيشوا حياة البشر،

[1] الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، (ج16/ 638).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويتمكنوا من التعامل والتخاطب والتفاهم مع من هم من جنسهم، ولو كان الرسل من غير البشر لما كانت هناك وشيجة ورابطة بينهم وبين أقوامهم"[1].

– أن حمل الرسالة يقتضي صفة الرجولة، ليس نوعاً بل ما تقتضيه الصفة من عقل وحكمة واتزان، وبُعد نظر وعمق البصيرة وصبر على تحمل ما يقتضيه شرف الدعوة من أعباء، ومهام تنوء بها الجبال.

– قد كان من مبررات رافضي دعوة الأنبياء أن لو كانت النبوة في ملك لاتبعوه، فجاءت آيات إثباتها للرجال رداً عليهم من ناحية، ومن ناحية أخرى إثبات أن صفة الرجولة لا تقل شرفاً وقيمة في تحمل المهام التي يُظن استئثار الملائكة بها.

أما عند التأمل في بلاغة لفظة الرجولة في الآيات، فلا بد من تتبع الأسلوب من بدايته إلى نهايته. حيث نجد عبارة (نوحي إليهم) مرافقةً للفظة الرجولة، فحيثما جاء الوصف بالرجولة بديلاً عن الرسالة وجدنا النعت بخصوصية الوحي لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام. وقد آثر التعبير القرآني استعمال أسلوب القصر بما وإلا، حيث قصر الرجال وهم الموصوف على الرسالة وهي الصفة وبلاغة القصر هنا تتجلى في: "الإيجاز وتقرير الكلام وتمكينه في الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك"[2]، كما أن التأكيد على معاني القوة والجلد والتحمل والصبر والمثابرة، مقصودة جميعها دون شك في اختيار هذه اللفظة دون سواها، وبالرغم من اشتراك هذه المعاني جميعًا بين الآيات الثلاثة، فإن من الملاحظ اختلاف نسبة الأنبياء فيما بينها؛ حيث إن وصف الرجال في آية سورة يوسف جاء بنسبتهم إلى أهل القرى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾، في حين جاءت نسبتهم في آيتي الأنبياء والنحل إلى أهل الذكر، ففي النحل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، وفي الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، إذ الرسل الموحى إليهم من أهل القرى يشتركون مع نبينا عليه الصلاة والسلام في قسوة أهل القرى عليهم وإخراجهم إياهم من قريتهم، فكان ذلك تسلية لرسولنا الكريم ودافعًا له

1 طنطاوي، محمد سيد، "التفسير الوسيط للقرآن الكريم". (9/ 187).

2 القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، "الإيضاح في علوم البلاغة"، (3/ 5).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

للصبر على إيذاء الأهل من أم القرى مكة، وأما سؤال أهل الذكر فإنه تذكير بفضل أهل العلم لأنهم ورثة هؤلاء الرسل الموحى إليهم وعليهم التحمل والجلد كما يتحمل هؤلاء الرسل.

الدلالة على جنس الرجولة بين الإفراد والتثنية والجمع:

وردت لفظة الرجولة بالمعنى اللغوي في القرآن الكريم للدلالة على جنس الرجولة والتي تقابل لفظة الأنوثة، سواء كان ذلك إفرادًا أو تثنيةً أو جمعًا. فأما الإفراد فقد وردت على النحو التالي:

- قوله تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ (يونس:2).

والمقصود بالرجل هنا هو النبي المرسل لهؤلاء، واستعمال لفظة الرجل مقصود بعينه، فالمعلوم لدى هؤلاء هو استبعاد النساء من حمل الرسالة، والجار والمجرور (منهم) إثبات للتعجب من إنكار هؤلاء لطبيعة الرجل الذي أنيط به حمل الرسالة، فهم يعرفونه وليس غريبًا عليهم، فكان اتهامه بالسحر دليل على كذبهم، وهو تأكيد لخفة عقول هؤلاء، وأن من ينبغي عليهم مساندته ومؤازرته، حولوه بين ليلة وضحاها إلى عدو لهم يتناحرون معه ويكيدون له المكائد. فلفظة الرجل هنا ترسخ معنى المعرفة الجيدة لشخص النبوة ومكانة النبي بين قومه.

- قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام: 9).

فالرجولة هنا تعني جنس الرجل الذي تختلف طبيعته عن جنس الملائكة، فكيف يوحى إلى ملك بدعوى تبليغ جنسٍ غير جنسه؟!

- قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام مخاطبًا قومه
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا ولعلكم ترحمون﴾ (63 الأعراف).
- قوله سبحانه على لسان هود عليه السلام مخاطبًا قومه ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: 69) .

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويكاد يكون مدلول الآيتين مشتركًا، لا سيما أن الغرض من التعبير واحد، حيث ينُصَّان على نزول الذكر على رجل من قومَي نوح وهود عليهما السلام وتؤكدان على أن النبيين الكريمين معروفان لدى قومهما نسبًا وحسبًا، فجاءت لفظة (رجل) للدلالة على شخص بعينه معروف لا ينكره أحد. فكان المناسب في الرد على هؤلاء هو إنكار سلوكهم بأسلوب تعجبي (أو عجبتم)، وهو في الحقيقة استهزاء بعقولهم، لأنهم بذلك يتهمون أنفسهم. واستعمال الجار والمجرور مع ميم الجمع في (منكم) دلالة على شدة الاستهزاء بعقول هؤلاء، فلا يستطيع أحد منهم أن ينكر نسبة النبيين الكريمين إليهم.

ومن الإفراد أيضاً اتهام المخالفين لأنبيائهم بالكذب أو الجنون أو السحر، كما ورد في الآيات التالية:

- قوله تعالى﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون: 25).
- قوله تعالى﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾(المؤمنون: 38).
- قوله تعالى ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الفرقان: 8).
- وقوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: 47) .
- وقوله تعالى﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: 31). والآيات جميعها تدل على أن هؤلاء لا يختلفون في حقيقة وجود نبي ورسالته المؤكدة، ولكنهم يختلفون في طبيعة من يحمل تلك الرسالة، اتباعًا لأهوائهم، وما يثبت ذلك أن النفي الصريح لوجود نبي أو كتاب سماوي لم تصرح به آية واحدة، وإنما جاء الاعتراض والنفي لطبيعة الرجل المكلف بذلك، فآية المؤمنون مثلًا يروج فيها المخالفون لكذب النبي الكريم حتى يكون مبررًا لعدم الإيمان به، والأعجب أنهم اعترفوا بحقيقة وجود الإله حينما ادعوا كذب النبي الكريم على الله بقولهم (افترى على الله كذبًا)، وكذلك آية الفرقان، حيث لا اعتراض على حقيقة الاتباع وإنما الاعتراض على شخص النبي الذين اتهموه بأنه مسحور، ويأتي تأكيد ذلك في آية الزخرف، وقد تمنى فيها الكفار أن ينزل الوحي على رجل من القريتين ذي شأن، "قال ابن عباس: الذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي والذي من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي"[1]، فالإنكار ليس موجه للرسالة وإنما موجه إلى كون المنزل عليه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظاهر الآية به إقرار من هؤلاء باستعدادهم للإيمان والاتّباع، لكن دلالات التراكيب تؤكد وضوح الكذب والكبر، قال تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام، 33).

[1] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، 13/ 78.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومن الملاحظ أن الاتهامات الواردة في الآيات والموجهة للأنبياء تتراوح بين الجنون والسحر وافتراء الكذب، لأن هذه الاتهامات كانت منتشرة بينهم بحكم بيئتهم وطبيعة ما نشأوا عليه.

وأما صيغة التثنية للدلالة على الرجولة مقابل الأنوثة واستعمالها للحقيقة، فقد تعددت فيها الآيات على النحو التالي:

- قوله تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (الكهف: 32).

ومن روائع ما جاء في معنى الآية قول النيسابوري: "(مثلاً رجلين) هما النفس الكافرة والقلب المؤمن. (جعلنا لأحدهما) وهو النفس (جنتين) هما الهوى والدنيا (من أعناب) الشهوات (وحففناهما بنخل) حب الرياسة (وجعلنا بينهما زرعًا) من التمتعات البهيمية"[1].

- قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ (البقرة: 282). والمقصود: فالذي يشهد – إن لم يكن – رجلان – رجل وامرأتان ممن ترضون مذهبه[2].
- قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿النحل: 76).

ذكر الطبري في تفسير الآية: "يعني بالأبكم: الذي هو كلٌّ على مولاه الكافر، وبقوله: ومن يأمر بالعدل، المؤمن، وهذا المثل في الأعمال"[3].

- قوله تعالى ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص: 15). والمقصود: فاستغاثه الرجل الإسرائيلي على الرجل الفرعوني.

ومن الملاحظ ورود التثنية بلفظها الحقيقي في الحديث القصصي، إلا آية واحدة وردت في بيان ما يقتضيه الدَّين من شهود إثبات.

وقد ورت لفظة الرجولة بصيغة الجمع مقابل النساء للدلالة على حقيقة اللفظة أيضًا، منها:

- قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: 1﴾.
- قوله تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (النساء: 7﴾.

1 النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، 4/ 434.

2 الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، "معاني القرآن وإعرابه"، 1/ 363.

3 الطبري، محمد بن جرير ، مصدر سابق، 14/ 311.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- قوله تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء: ٣٢).
- قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ (الفتح: 25). فانظر إلى التضاد بين الرجال والنساء، وتعيين الجنسين هنا مقصود بعينه، فقد قال الإمام الدينوري عن سبب نزول الآية: "كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفي الأماكن، فلما صدّ المشركون رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، عن المسجد الحرام وعكفوا الهدي أن يبلغ محلّه. قال الله سبحانه: لولا أن بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعرفونهم فتطأوهم لو دخلتموها، أي تقتلوهم ليدخلهم الله في رحمته لو فعلتم فتصيبكم من قتلهم بغير علم معرّة، أي يعيبكم المشركون بذلك ويقولون: قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا، وتلزمكم الدّيات"[1].
- قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١٧٦). فالآية من آيات الميراث، وفيها تضادان، الأول بين الرجال والنساء، والثاني بين الذكور والإناث، وهما مقصودان بلفظيهما؛ إذ أو الرجل خلاف الذكر، فشرط الذكورة دون الرجولة شرطٌ في أحقية الميراث، فلا يشترط بلوغ الذكر سن الرجولة حت يرث، بل يرث رضيعًا وصبيًا وشابًا وشيخًا، وكذلك في الأنثى. وقد جاءت جملة الشرط في الآية بالتقسيم إلى الرجال والنساء باعتبار ما هو كائن أو ما سيكون، لأن تحمل أعباء الميراث ورعاية المال خاص بالرجال والنساء، بدليل اشتراط الولاية للقُصَّر من الجنسين.
- قوله تعالى﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٤).
- قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ولا يهتدون سبيلا﴾ (النساء: 98).
- قوله تعالى ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ (الأعراف: 46).
- قوله تعالى﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (الأعراف: 81).

فالآيات السابقة كافة وردت بها لفظة الرجولة بمعناها اللغوي المقابل للأنوثة.

ما تقتضيه لفظة الرجولة في الإفراد والتثنية والجمع:

[1] الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن"، 215.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فكما تقف لفظة الرجولة عند معناها اللغوي ولا تتعداه؛ إذ هو المقصود بعينه، فهناك آيات قرآنية تعدت فيها اللفظة هذا المعنى إلى ما تستوجبه من دلالات مقصودة ومشعبة تدور كلها حول تحمل المسؤولية والمبادرة والمواقف الإيجابية وحسن الإدارة والحكمة والصدع بالحق والمثابرة، وغير ذلك من صفات تفيض بها تراكيب الآيات مما يمكن يتستر وراء اللفظة ويقتضيه السياق.

فلو بدأنا بصيغة الإفراد، نجد تعدد ورود اللفظة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص: 20) وقوله تعالى ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (يس: 20، 21). والتشابه بين الآيتين في مجمل المعنى لا يعني استبعاد الاختلاف بينهما، ففي إحداهما تقديم للرجل مقابل التأخير في الأخرى، فالتقديم في الأولى لغرض الاهتمام به ورفع شأنه؛ إذ إن ما قام به يستلزم وصفه باللفظة ورفع شأنه، فالرجل قد بادر بما لم يبادر به غيره، وتقدم المشهد وأسرع استجابةً لما يمليه عليه عقله وقلبه، فقد قطع الرجل مسافة بعيدة (من أقصى المدينة) تظهر عليه علامات الحرص والاهتمام (يسعى) حتى يأخذ موسى احتياطاته (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) ثم ينهي جهده ومشواره بالنصح (فاخرج إني لك من الناصحين)، قال الزجاج في الرجل: " إنه مؤمن آل فِرْعَونَ، وإنَهُ كان نَجَّاراً، ومعنى يَسْعَى يَعْدُو، والملأ أشراف القوم، والمنظورُ إليهم، ومعنى يأتمرون بك يأمر بعضهم بعضاً بقتلك"[1]. وأما تأخير لفظة رجل في الآية الثانية فهو للفت الأنظار إلى وصول الدعوة الصادقة إلى أطراف المدينة، إلى الدرجة التي تطوع فيها واحدٌ ممن وصلت إليه الدعوة بالوقوف في وجه هؤلاء ومحاولة إفاقتهم بالحوار العقلاني، قال الزجاج: "هذا رجل كان يعبد الله في غارٍ في جَبَل، فلما سمع بالمرسلين، جاء يسعى، أي يَعْدُو إليهم، فقال: أتريدون أَجْراً على ما جئتم به، فقال المرسلون: لا، وكان يقال لهذا الرجل فيما رُوي حبيبُ النجار". وكان يمكن استبدال لفظة رجل بلفظة مؤمن في الآيتين، لكن الوصف المراد يتعدى الإيمان، إذ المؤمنون مع كلا الرجلين كثيرون لكن لم يظهر منهم أحدٌ أو بادر بالنصح سوى واحدٍ منهم تنطبق عليه صفة الرجولة[2]. وذلك بخلاف رجل آل فرعون والذي وصفه الله تعالى

[1] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، "معاني القرآن وإعرابه"، 4/ 138.
[2] المصدر نفسه، 4/ 283.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

بالإيمان في قوله سبحانه ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: 28).

فالوصف بالإيمان بعد لفظة رجل كان لبيان دخول الإيمان بين قوم فرعون، حتى ظهر منهم رجال يصدعون بالحق كهذا الذي معنا، وقد وصفت الآية الرجل بثلاث صفات، الأولى الإيمان، والثانية كونه من آل فرعون، والثالثة إخفاؤه للإيمان مع جواز أن تكون جملة (يكتم إيمانه) في محل نصب حال. وعند التأمل نجد أن أصل هذه الصفات ومرجعها هو لفظة رجل، وكأنه الأساس الذي يبنى عليه، وبدونه ينعدم أي بناء، وذلك على الرغم من أهمية الصفات الثلاثة فكان الرجل أولى بالتقديم. ولعلنا نصيب إن قلنا إن العرض الذي عرضه هذا الرجل على قومه كي يؤمنوا كان ضمن أسباب تشريفه بلفظة رجل، حيث فصَّل لهم القضية بجميع أبعادها، ومنها التعجب من تكذيب رجل ادعى وحدانية الله مع قوة أدلته وبراهينه فبدأهم بالاستفهام الإنكاري المفيد للتعجب (أتقتلون رجلًا) ، ومنها تحكيم العقل والمنطق في الاستماع إلى الدعوة، فإن كانت صادقة فسيعم الخير على الجميع ولن يخسر أحد، وإن كانت كاذبة فسيتحمل صاحبها عاقبة كذبه، وحينها لن يخسروا شيئًا.

وقد ورد التعبير بالمثنى للفظة رجل للدلالة على المقومات الخُلُقية لما تقتضيه اللفظة، في آية واحدة من كتاب الله، وهي قوله تعالى في سورة المائدة ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: 23)، ومما قيل عن الرجلين في الآية: "كانا من الجبارين فأسلما واتَّبعا موسى، (أنعم الله عليهما) بالتوفيق والعصمة قالا (ادخلوا عليهم الباب) يعني: قرية الجبارين، (فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) لأن الله تعالى منجز وعده، وإنا رأيناهم وأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، فلا تخشوهم، (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما"[1]. ومن الواضح في الآية أن الرجلين كانا من بين قوم مؤمنين يخافون الله تعالى، لكن الله تعالى نعتهما بخاصية الإنعام عليهما بقوله سبحانه (أنعم الله عليهما)، وقد تكرر إيثار الرجولة على الإيمان في تلك الآية أيضًا، وأسباب ذلك كثيرة منها المبادرة وبُعد النظر وحسن التوكل

[1] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، 3/ 37.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

والإيجابية في المواقف، فالرجلان قد ظهرا في وقتٍ يحتاج فيه موسى عليه السلام إلى المؤازرة وحسن المشورة. فإذا تلفظت بالرجلان في الآية استشعرت كل هذه الصفات السابقة والتي بها تكتمل الرجولة، ولا يعني ذلك وصول كل مؤمن لتلك الدرجة، ولعل ذلك ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم حين قال (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ أَوْ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)[1].

وأما ورود لفظة الرجل بصيغة الجمع، فقد جاء في آيات متعددة، منها قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ (الأحزاب: 23)، وقوله تعالى ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: 108)، وقوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ، رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ﴾ (النور:36، 37). ومن طرائف اللفظة في الآيات السابقة ورودها مرفوعة، إذ الرفع في الإعراب أقوى في المعنى وآكد في الدلالة، كما وردت اللفظة منكرة موصوفة في الآيات الثلاثة، ففي آية الأحزاب نعتوا بأربع صفات بقوله تعالى (صدقوا ما عاهدوا الله عليه، منهم من قضى نحبه، منهم من ينتظر، ما بدلوا تبديلًا)، وفي آية التوبة نعت سبحانه الرجال بصفة واحدة في قوله تعالى (يحبون أن يتطهروا)، والتعبير بالمضارع دلالة على الرغبة المستمرة لهؤلاء الرجال في التطهر والتقرب إلى الله، وهي مقارنة معلنة في زي متستر، فهي معلنة بتعيين وتحديد الجار والمجرور وتخصيص هؤلاء به (فيه رجال) وهي غير صريحة في ذكر رواد المساجد الأخرى التي بنيت لغير الله ووصف أصحابها، حيث لا مجال لهؤلاء الرواد أن يفتخروا على غيرهم، لأن تلك المساجد لا تصلح للطهارة من الذنوب. وأما آية النور فقد نعتت الرجال بصفتين (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار). وقد جاءت رجالٌ مؤخرةً عن الجار والمجرور في الآيات الثلاثة، وباب التقديم التأخير له أهمية بلاغية لا يستهان بها في تشكيل المعنى المقصود وبلورته، قال الجرجاني عن واصفًا ذلك الباب: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر

[1] ابن حنبل، أحمد بن حنبل (2001م). "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، 14/ 395 رقم الحديث (8791).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[1]. فتأخير لفظة (رجال) في الآيات بغرض التنبيه لأهمية هؤلاء الرجال، وأن التوطئة لهؤلاء والتمهيد لهم بالجار والمجرور يسترعي سمع ووعي المتلقي، والأصل في الأولى أن يقول: (رجالٌ من المؤمنين) وفي الثانية: (رجالٌ فيه)، وفي الثالثة أن يقول (يسبح رجلٌ) لكنه قدم الجار والمجرور "وهو ما يحق له أن يتقدم مثله مثل بقية متعلقات الفعل من ظرف ومفعول وحال وغير ذلك لأغراض بلاغية"[2]. ولا يعني اشتراك الألفاظ في التنكير والجمع والنعت وكذلك التأخير أن يكونوا بمنزلة واحدة من الدلالة، وهو ما يميز علم البلاغة عن غيره من العلوم. فكل لفظة لها نصيب من الدلالة، فإنها إن اتفقت مع مثيلتها لفظًا ومعنى معجمي، لا تتساوى معها في سياقها ومؤداها، لذا قال الجاحظ نقلًا عن بشر بن المعتمر "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[3]، ويقول في موضع آخر مفضلًا تعريف بعضهم للبلاغة: "وقال بعضهم- وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[4].

ومن الملفت في الآيات الثلاثة أن التعبير بالماضي جاء في آية الأحزاب، بخلاف المضارع الذي عبر به في آيتي التوبة والنور، فمعنى (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) يصدقون، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع والتأكيد على صدق هؤلاء الرجال، ومن أروع ما جاء في معنى الآية قول الألوسي: "لا مانع من أن يراد بصدقوا ما عاهدوا الله عليه كما ذكر عن الراغب حققوا العهد فيما أظهروه من أفعالهم، فيكون المعنى من المؤمنين رجال عاهدوا الله تعالى على الثبات والقتال إذ لقوا حربا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم وحققوا ذلك وثبتوا فمنهم من مات ومن منهم من ينتظر الموت، والذي يقتضيه السياق أن المراد قضى نحبه ثابتا بأن يكون قد استشهد كأنس بن النضر، ومعصب بن عمير، ويحتمل

[1] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، مصدر سابق ، 106.
[2] الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"، 137، بتصرف قليل.
[3] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، "البيان والتبيين"، 1/ 131.
[4] المصدر نفسه، 1/ 17.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أن يراد ما أعم من ذلك فيدخل من مات بعد الثبات حتف أنفه قبل نزول الآية إن كان هنالك من هو كذلك، وعدوا ممن ينتظر عثمان وطلحة وأول ما ورد في طلحة من أنه ممن قضى نحبه بأن المراد أنه في حكم من استشهد، وأوجبوا ذلك فيما أخرج سعيد بن منصور، وأبو يعلى، وابن المنذر، وأبو نعيم وابن مردويه عن عائشة أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: «من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة"[1].

«ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» ولعلنا نصيب إن قلنا: إن ألفاظ الإفراد والتثنية والجمع للفظة الرجولة حين تتفق في معنى آخر غير جنس الرجل، فإنها تتفق أيضاً في التنكير مع الوصف، فلا نكان نجد آية تستعمل فيها لفظة الرجل بالصيغ الثلاث إلا ونجدها منكرة تتبعها جملة نعت لبيان الغاية من التنكير.

وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة هامة، وهي أن استعمال لفظة مؤمن أو مؤمنَين أو مؤمنِين بدلاً من رجل أو رجلان أو رجال بالدلالات العميقة للكلمة ، لا يمكن أن يعطي المعنى نفسه الذي أعطته الرجولة بصيغها المختلفة، لأن بين اللفظتين (رجولة، إيمان) بون شاسع؛ لأن الإيمان محله القلب، أما الرجولة فتجمع بين إيمان القلب وجرأة الشخصية وحكمة العقل وحسن التصرف وسرعة المبادرة وغير ذلك مما لا يتوفر في كل مؤمن، ونستطيع بذلك وبعد أن حللنا الرجولة الحقيقية في غير موضع من كتاب الله، مع استثناء النساء، أن نرسي قاعدة: إن كل رجل مؤمن، وليس كل مؤمن رجل، وذلك إذا اعتمدنا ما تقتضيه اللفظة خارج المعاجم اللغوية.

النتائج:

- إذا وردت لفظة الرجل مقابل المرأة أو الرجال مقابل النساء، تتوجه لفظة الرجولة إلى جنس الرجل دون معنى آخر.
- حين تأتي لفظة الرجولة منكرة موصوفة بجملة بعدها، فإن اللفظة تتجاوز جنس الرجل إلى ما يستلزم نعوتاً وميزاتٍ فوق المعنى الأصلي.

[1] الألوسي، مصدر سابق، 11/ 169.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
العدد العاشر : ص.ص 136- 160 ISSN:2958-8537 Issue: N10
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- أغلب الألفاظ التي وردت بها لفظة الرجل مفردة وتم وصفها، تفوق في الدلالة لفظة الجمع بالرغم من اشتراكهما في الدلالة، لأن التنكير مع الإفراد في مثل هذه المواضع هو أعظم في التعبير عن المراد؛ ولأن العقل حينذاك يذهب في كل اتجاه إيجابي يخص المفرد.
- الألفاظ التي تم وصف الأنبياء فيها بالرجولة يقصد بها جنس الرجال، نفيًا لما يمكن أن يدور في العقل من إمكانية حمل النساء أو الجن أو الملائكة عبء الرسالات، كما أن التأكيد على هذا الوصف في آيات متعددة يعدُّ ترسيخًا لشرف الرجولة ونعمتها على بني البشر، فتأمل قوله تعالى على لسان أصحاب الجنتين حين ذكر أحدهما الآخر بنعمة الرجولة فقال ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف، 37).

التوصيات

- التوجه إلى دراسة الألفاظ القرآنية لا سيما ما يتعلق منها بمتطلبات الوحي السماوي، أمرٌ حتميٌ لكثيرٍ من الدراسات البلاغية التي تدرس التراكيب متغاضيةً عن دور اللفظة وتلونها بالمعاني المتباينة في أكثر من تركيب.
- ضرورة خروج بعض الأبحاث البلاغية القرآنية من الإطار النظري إلى إطار ملموس وصورة تتضح معالمها، ولا يتأتى ذلك إلا بالدوران حول النصوص القرآنية المتشابهة، واستنباط الفروق بينها، بغية وضوح المعاني العامة وجلائها وإرشاء المتلقي إليها.
- عدم الاهتمام بعمق الدلالة اللغوية للفظة العربية، أدى إلى ضحالة كثيرٍ من الدراسات، ومن ثم جاء بعضها ضعيفًا تحليليًا وبالتالي يصعب البناء على هذه الدراسات.
- ضرورة توجه الدارسين والمتخصصين إلى بيان الترابط الوثيق بين دلالة اللفظة والتركيب لغويًا وبلاغيًا ومعناها وتفسيرها تفسيريًا وفقهيًا، وهو ما ينبغي العناية به في بعض الدراسات اللغوية والبلاغية.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المراجع:

- ابن حنبل، أحمد بن حنبل (2001م). "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 14/ 395 رقم الحديث (8791).
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (1996) "المخصص"، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1/ 60.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (1414هـ). "لسان العرب" الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ج11/ 265. بتصرف قليل.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (1415 هـ). "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 13/ 78.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (1997). "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، المحقق: محمد عبد الله النمر؛ عثمان جمعة ضميرية؛ سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 3/ 37.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني. (1423هـ). "البيان والتبيين"، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1/ 131.
- جبل، محمد حسن. (2010). "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها"، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، 2/ 767.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (1992). "دلائل الإعجاز في علم المعاني" المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 106.
- خلاوي، إيناس فليح. (2012). "الرجولة في آيات القرآن الكريم: دراسة موضوعية". مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق. ع 102/ص ص 384-404.
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. (د ت). "تأويل مشكل القرآن"، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 215.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (2001). "تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت. 28، 29 / 36.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (1988). "معاني القرآن وإعرابه"، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 4/ 138، 1/ 363.
- صالح، عبد الكريم.. (2004). "معالم الرجولة في القرآن الكريم" . شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى، 54.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/05/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N10 العدد العاشر : ص.ص 136- 160
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- الطبري، محمد بن جرير. (2001). "جامع البيان في تأويل آي القرآن". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة الأولى. (ج16/ 638). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- طنطاوي، محمد سيد. (1998). "التفسير الوسيط للقرآن الكريم". الطبعة الأولى. (9/ 187). الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الفجالة. القاهرة.
- العلوي، يحي بن حمزة (1432هـ). "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت.
- الفيروز بادى، مجد الدين محمد بن يعقوب. (د ت)، "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 3/ 42.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (١٩٦٤م). "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الطبعة الثانية. القاهرة، دار الكتب المصرية.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. (د ت) "الإيضاح في علوم البلاغة"، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، 2/ 91، 5/3.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد. (١٤١٦هـ). "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 4/ 434.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم (د ت). ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، 137. بتصرف قليل.